الموازنة من الفعل وزن يزن الشيء: امتحنه بما يعادله ليعرف وزنه، ووازنه موازنة كافأه على أعماله".[1]

وعرّفه صاحب لسان العرب كالآتي: "الوزن ثقل شيء بشيء مثله كأوزان الدراهم، ...".[2]

وقال صاحب اللسان: "والفِضال والتفاضل: التمازي في الفضل ... وفضلته على غيره تفضيلا إذا حكمت له بذلك او صيرته كذلك".[3]

تعد الموازنات أقدم ممارسة نقدية وصلتنا عن العرب القدامى، وهي "أبرز مناهج النقد العربي القديم، وأعظم ما قدمه القدماء من مناهج على الصعيدين النظري والتطبيقي، لأنه يطلب من الناقد دائما التعرض لواقع الفن والإبداع في النص...".[4]

وبالنسبة للجاهليين، فإن الموازنة تمت في شكل مفاضلة بين شاعر وآخر، وتعد أوضح منهج مارسه هؤلاء، وميزوا به بين الجيد والرديء، وقصدوا به تمييز الفحل والمبدع على أقرانه، مسترشدين بالمفهوم اللغوي للفظة.[5] فكل الآراء المنسوبة لهم جاءت في شكل موازنة ومفاضلة بين شعراء وبين أبيات. ومن صورها الأحكام التي تعزى للنابغة في سوق عكاظ، وتحديدا الموازنة التي قام بها بين الأعشى والخنساء وحسان بن ثابت، وخلص بها لتفضيل الأعشى على الخنساء وحسان معا قائلا له: "أنت شاعر، ولكنك أقللت جفانك وأسيافك،

---

[1]- إنعام فوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط3، 2006م، 1427هـ، ص:261.

[2]- ابن منظور، لسان العرب، مج 12، ص: 446.

[3]- المصدر نفسه، مج 11، ص: 524.

[4]- عدي خالد محمود البدراني، النقد العربي القديم في دراسات المحدثين، درا الرضوان للنشر والتوزيع، مؤسسة الصادق الثقافية، الأردن، ط1، 2013م، 1434هـ، ص: 238.

[5]- ينظر: ابن منظور، لسان العرب، مج 11، حرف اللام، ص: 534.

وفخرت بمن ولدت ولم تفخر بمن ولدك".[1] وبغض النظر عن اختلاف الدراسين حول القصة، كونها مثار نقاش بين النقاد والدارسين،[2] نقول أن سوق عكاظ كان المكان المناسب للمفاضلة بين ما قالته العرب، حيث كان مقصد "الخطباء من المصاقع والشعراء، والأعزة والأشراف، فكثرت فيه الخطب والفخر وعرف بأنه لقاء الثقافة والأدب واللغة.[3]

ومن صور الموازنات في ذاك العصر، الموازنة التي تمت بين امرئ القيس وعلقمة وقد سيرها زوجة امرؤ القيس ام جندب ووقع الانتصار فيها لعلقمة،[4] وإن لم تسلم هذه المفاضلة من نقد أيضا.[5]

ثم سلكت الموازنات في عصر الإسلام مسلكا جديدا صار التفضيل فيه يتخذ من التوجيه الديني مقياسا ففضل عمر بن الخطاب زهيرا لصدقه ولوضوح معانيه، فقد كان "لا يعاظل في الكلام ولا يمدح الرجل إلا بما فيه".[1]

---

[1]- ينظر: قدامة بنن جعفر، نقد الشعر، ص: 18. ابن الأثير، المثل السائر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، 1358ه، 1930م، ج2، ص: 326، 327. قصبجي، أصول النقد العربي القديم، ص: 6، ص: 11.
رداد بن شبير الفضلي الهذلي، أخطأ النابغة وأصاب حسان، عن الكوقع الالكتروني: http://www.al-action=s&id=248 amir.info/inf4/include/plugins/article/article.php?، بتاريخ: 23 تشرين الأول (أكتوبر) 2016. فاروق مواسي، مشهد من نقد الشعر القديم، عن الموقع الالكتروني: https://www.diwanalarab.com، بتااريخ: 23/ 10/ 2016.

[2]- قدامة بنن جعفر، نقد الشعر، ص: 18.

[3]- ينظر: علي_حافظ، حوار عكاظي بين شعراء ومحكم، عن الموقع الالكتروني: https://www.alwatan.com.sa/article/1020742

بتاريخ: الجمعة 30 أغسطس 2019.

[4]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ج1، ص: 218، 219. العسكري، ص: 54، 55. ينظر نماذج وصور عن النقد الجاهلي، محمد صايل حمدان، عبد المعطي نمر موسى، معاذ السرطاوي، قضايا النقد القديم، ص: 29، ص: 50. أحمد أحمد بدوي، أسس النقد الأدبي عند العرب، ص ص: 3، 5.

[5]- ينظر: عدي خالد محمود البدراني، النقد العربي القديم في دراسات المحدثين، دار الرضوان للنشر والتوزيع، مؤسسة الصادق الثقافية، الأردن، ط1، 2013م، 1434ه، ص: 241.

وفي هذا العصر تظهر لنا موازنة دقيقة منسوبة للإمام علي كرّم الله وجهه حين قال: "كل شعرائكم محسن، ولو جمعهم زمان واحد وغاية واحدة ومذهب واحد في القول لعملنا أيهم أسبق إلى ذلك. وكلهم قد أصاب الذي أراد وأحسن؛ فإن يكن أحد فضلهم فالذي لم يقل رغبة ولا رهبة امرؤ القيس بن حجر، فإنه كان أصحهم بادرة وأجودهم نادرة".[2]

ولذلك يتفق الدارسون أن الإمام علي واضع البذرة الأولى لمنهج الموازنة الصحيح.[3]

ولكن أبرز عصر عرف الموازنات هو العصر الأموي بسبب كثرة الشعراء وعودة العصبيات ووفرة. ووقع أغلبها حول شعر جرير والأخطل والفرزدق، وشعر ذي الرمة وشعراء عصره، وشعراء الغزل، وكان لها فضل في التنبيه على مواطن التبدل التي أصابت الشعر، وكذا مواطن تفرّد شاعر على غيره من الشعراء وغيرها.

ارتقت الموازنة في العصر العباسي ونضجت، وانتقلت من مجرد المفاضلة لتكون منهجا واضحا. ويعد كتاب طبقات الشعراء لابن سلام، النموذج الأول لذاك المنهج، فطبقات الشعراء هي في الحقيقة مفاضلة بين الشعراء انتهت إلى ترتيبهم تريبا معينا انطلاقا من مجموعة من المقاييس حصرها صاحب الكتاب في الكثرة والجودة مطبقا معايير ثانوية أخرى هي الدين والزمن والبيئة وسيطرة المذهب الشعري.

كما ظهرت الموازنة عند الآمدي وتحيل مباشرة على الخصومة التي ثارت بين النقاد حول الشعر القديم والشعر المحدث، وكان لأبي تمام الدور الأكبر، فيها لتبدل شعره عن شعر غيره، ولخروجه عمّا اصطلح عليه (عمود اشعر). ويعد كتاب الآمدي (ت370هـ) النموذج

---

[1]- ابن قتيبة، الشعر والشعراء، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1958، ج1، ص: 138. الآمدي، الموازنة، بين أبي تمام والبحتري، تحقيق أحمد صقر، م1، ص: 293. المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ص: 15. قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص: 21.

[2]- حازم القرذاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، ص: 377.

[3]- ينظر: حسين لفته حافظ، الإمام علي (عليه السلام) مؤسس منهج الموازنة في النقد العربي القديم، عن الموقع الالكتروني:https://www.kitabat.info/print.php?id=159199 ، بتاريخ11 / 08 / 2021 .

الأمثل للموازنة في النقد العباسي ويمكن تلخيص مواطن التميز بين الشاعرين كالآتي وذلك وفقا لكلام الآمدي:

صفات شعر البحتري: حلاوة اللفظ / حسن التخلص / وضع الكلام في مواضعه / صحة العبارة وقرب المأتى وانكشاف المعاني، وأنصاره هم الكتاب والشعراء المطبوعون والأعراب وأهل البلاغة.

صفات شعر أبي تمام: غموض المعاني ورقتها / كثرة ما يورده مما يحتاج إلى استنباط وشرح واستخراج، وأنصاره هم أهل المعاني والشعراء أصحاب الصنعة ممن يميل إلى التدقيق وفلسفي الكلام.[1]

يقول الآمدي في مطلع موازنته: "أكثر من شاهدته ورأيته من رواة الأشعار المتأخرين يزعمون أن شعر أبي تمام حبيب بن أوس الطائي لا يتعلق بجيد أمثاله، و رديئه مطروح ومرذول، فلهذا كان مختلفا لا يتشابه، وأن شعر الوليد بن عبيد البحتري صحيح السبك، حسن الديباجة وليس فيه سفساف لا رديء ولا مطروح، ولهذا صار مستوياً يشبه بعضه بعضاً".[2] ثم يقول بعد ذلك: " ولست أحب أن أطلق القول بأيهما أشعر عندي، لتباين الناس في العلم، واختلاف مذاهبهم في الشعر، ولا أرى لأحد ان يفعل ذلك فيستهدف لذم أحد الفريقين، لأن الناس لم يتفقوا على أي الأربعة أشعر في امرئ القيس والنابغة وزهير والأعشى، ولا في جرير والفرزدق والأخطل، ولا في بشار ومروان، ولا في أبي نواس وأبي العتاهية ومسلم، لاختلاف آراء الناس في الشعر وتباين مذاهبهم فيه، فإن كنت –أدام الله سلامتك– ممن يفضل سهل الكلام وقريبه، ويؤثر صحة السبك وحسن العبارة وحلو اللفظ وكثرة الماء والرونق، فالبحتري أشعر عندك ضرورة، وإن كنت تميل الى الصنعة والمعاني الغامضة التي تستخرج بالغوص والفكرة، ولا تلوى على غير ذلك فأبو تمام عندك أشعر لا محالة، فأما أنا فلست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر ولكني أوازن بين قصيدتين من

---

[1]- ينظر: الآمدي، الموازنة بين الطائيين، ج1 ص: 4.

[2]- المصدر نفسه، ص: 3.

شعرهما إذا { اتفقتا } في الوزن والقافية وإعراب القافية، وبين معنى ومعنى، فأقول: أيهما أشعر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم احكم أنت حينئذ على جملة ما لكل واحدة منهما إذا أحطت علما بالجيد والرديء".[1] ويؤكد ذلك أيضاً فيقول: " وأنا ابتدئ بذكر مساوئ هذين الشاعرين، لأختم بذكر محاسنهما، وأذكر طرفا من سرقات أبي تمام وإحالاته وغلطه وساقط شعره، ومساوئ البحتري في أخذ ما أخذه من معاني أبي تمام، وغير ذلك من غلط في بعض معانيه، ثم أوازن بين شعريهما بين قصيدتين إذا اتفقتا في الوزن والقافية وإعراب القافية، ثم أبين معنى معنى، فإن محاسنها تظهر في تضاعيف ذلك، ثم أذكر ما انفرد به كل واحد منهما فجوَّده من معنى سلكه ولم يسلكه صاحبه، وأفراد بابا لما وقع في شعريهما من التشبيه، وبابا للأمثال، أختم بهذه الرسالة، وأتبع ذلك بالاختيار المجرد من شعريهما".[2]

فمنهج الآمدي يقوم على الآتي:

1/ التدقيق في نصوص البحتري وأبي تمام والتأكد من صحة نسبها للشاعرين.

2/ عرض آراء النقاد في الشاعرين سواء الإيجابية أو السلبية، وعرض حجج كل فريق، وقد اختار لذلك عنوان: احتجاج الخصمين، وعبارة قال صاحب البحتري عن أنصاره وقال صاحب أبي تمام عن أنصاره.[3]

3/ تتبع سرقات الشاعرين مع وقوفه مطولا أمام سرقات أبي تمام وردها لأصولها، ودراسة أخطاء أبي تمام اللغوية والمعنوية، وإسرافه في البديع والإيغال في المعنى.

4/الموازنة بين الشاعرين وهنا يقول الآمدي: "ولست أفصح بتفضيل أحدهما على الآخر (أي تفضيلاً مطلقاً)، ولكني أقارن بين قصيدتين من شعرهما إذا اتفقتا في الوزن والقافية

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 5، 6.

[2]- المصدر نفسه، ص: 6.

[3]- المصدر نفسه، ص: 6،

وإعراب القافية، وبين معنى معنى، فأقول أيهما أشعر في تلك القصيدة، وفي ذلك المعنى، ثم أحكم انت حينئذ على جملة ما لكل واحد منهما إذا أحطت علما بالجيد من الرديء".[1]

ومن أهم نتائج موازنة الآمدي تلك المقاييس النقدية التي أثبتها، وأهمها ما تعلق عمود الشعر.

كما تعد وساطة الجرجاني مميزة من بين ما كتب عن الشاعر المتنبي ومثالا حياّ عن الموازنات. ويتلخص منهجه في الموازنة في الآتي:

- الدفاع عن أخطاء المتنبي عن طريق قياس الاشباه بالنظائر

مناقشة المآخذ الفنية واللغوية ذلك أنها صادرة إما عن نحوي لا بصر له بالشعر، أو معنوي لا علم له بالإعراب ولا اتساع له في اللغة.[2]

- ذكر عيوب وأخطاء الشعراء المشهورين من الجاهليين والإسلاميين وتفاوت الشعر وتبدله عبر العصور.
- الدفاع عن المتنبي وهي مرحلة تالية للأولى وفيها يشير لخطأ المتنبي، ولكن في الوقت نفسه يذكر أخطاء مشابهة لشعراء آخرين، كما يذكر خصوم المتنبي ويصنفهم إلى فئتين: فئة متعصبة تمقت المحدث كله، وفئة متعصبة فقط على المتنبي، ويتحدث الجرجاني عن السرقات ويميز بين ما هو سرقة وما هو دون ذلك كالاشتراك في المعاني والألفاظ المتداولة الشائعة بين الناس.

---

[1]- المصدر نفسه، ص: 6.

[2]- المرجع نفسه، ص: 112.